

## يوم في بيت المقدس

أحمد الشقيري

فيما يلي فصل من مذكرات الاستاذ احمد الشقيري التي ستصدر قريبا في بيروت بعنوان « ما أشبه الليلة بالبارحة » .

عرفت بيت المقدس في طفولتي وصبائي ، من بعيد ، فلم يشرفني الله ان تكون مسقط رأسي ، وحرمت ان أحبو على ترابها الطهور ، وان ارتع في حاراتها وساحاتها ، وان اتفياً ظلال أسوارها وأبراجها . وما أسعد الذين ولدوا في أكنانها ، فقد قدر لهم ان يترعرعوا في مهد التاريخ وأن يكونوا من سدنة معالمها الخالدة .

ولقد عرفت بيت المقدس ، وأنا في عكا ، وكانت يومذاك تبعد عني مسيرة ثلاثة أيام على ظهور الجياد ، ولكنها مع ذلك كانت أقرب الي من جبل الوريد ، أقرب من أذني الي سسمي ، فقد كان اسمها يتردد من حولي في البيت ، وفي الجامع ، وفي المدرسة ، وفي كل مكان .

في البيت كانت حلقة العلماء في بيتنا لا تفتقر عن ذكر بيت المقدس عند كل مناسبة دينية ، وكان الحديث عن « بركاتها وفضل الصلاة في المسجد الأقصى » يطغى على كل حديث .

وفي المسجد كانت خطب الجمعة ، لمناسبة الاسراء والمعراج ، تشير الى فضائل بيت المقدس ، وينهي الخطيب كلامه وهو يرتل بصوت خاشع الأحاديث النبوية عن بيت المقدس ومنها : « من زار بيت المقدس محتسبا أعطاه الله أجر الف شهيد » . « ومن زار بيت المقدس محتسبا حرم الله لحمه وجسده على النار » . « ومن صلى في بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها » .

وفي المدرسة كان استاذنا يتحدث بإفاضة عن بيت المقدس ، وعن أسوارها وأبراجها وأبوابها ، وعن تاريخها ابتداء بالفتح العمري ، الى عهد الامويين والعباسيين ، وحروب الأفرنج مع صلاح الدين ، الى عهد العثمانيين فالاحتلال البريطاني .

ولكننا في المدرسة لم نكن نعرف بيت المقدس بهذا الاسم ، فلقد شاع هذا الاسم فيما بعد ، فقد كان الاسم الرائج « القدس الشريف » ، ولذلك حكاية جرت بيننا وبين معلم الجغرافيا .

في ذلك الوقت ، وهو على التحديد في عام ١٩١٩ ، كان معلمنا يدرسنا الجغرافيا من غير كتاب ولا خريطة ، فلم تكن الكتب المدرسية قد طبعت ، ولم تكن الخرائط قد ظهرت ، فالاحتلال البريطاني بعد العهد العثماني لم يكن قد أعد شيئا من برامج التعليم .

وكان معلمنا يدرسنا من « عقله » ، ويتحدث عن جغرافية فلسطين وسهولها وجبالها ومدنها مستعينا من حين الى حين برسم خارطة على اللوح ، يبين فيها مناطق فلسطين الطبيعية . ويتعمد ان يرسم عكا وحيفا والخليج بينهما باتقان وروية .